Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

الملاءمة بين حروف القافية وحروف الكلمات الأخرى فى أبيات القصيدة ، كما حلّل نماذج من شعره[٥٢].. ونبّه منذ البداية إلى أن العروض لا يستطيع أن يقيس هذه القيم الصوتية الداخلية فى موسيقى الشعر ، وأن هذه الموسيقى يشخصها جانبان مهمان هما : اختيار الكلمات وترتيبهامن جهة ، ثم المشاكلة بين أصوات هذه الكلمات والمعانى التى تدل عليها من جهة أخرى[٥٣] . ويقول الدكتور شوقى ضيف فى موضع آخر : « وبهذه الموسيقى الخفية يتفاضل الشعراء ، ولعل شاعراً عربياً لم يستوف منها ما استوفاه البحترى ، ولذلك كان القدماء يقولون إن بشعره صنعة خفية »[٥٤] .

وقد عرف عن البحترى براعته فى انتقاء الألفاظ ، ومقدرته على المشاكلة بين أصواتها ، والمعانى التى تدل عليها . وهذه المشاكلة تنقلنا إلى مناخ القصيدة ، وتحقق من الوجهة الموسيقية ما يمكن تسميته بالموسيقى التصويرية ، التى ترافق المعانى ، فتتموج معها صعوداً وهبوطاً ، وتكون تارة نغماً حزيناً ، كما فى مرثيته للمتوكل :

مَحَلٌّ على القَاطُولِ أَخلَقَ دائِرُهْ ... وعادت صروفُ الدَّهرِ جَيشاً تُغاوِرُهْ

وتارة أخرى أنغاماً شجية ، كما نرى فى وصفه دمشق :

العَيشُ فى ليلٍ دَارِيًّا إذا بَرَدَا ... والرَّاحُ نَمزجُها بالماءِ من بَرَدى

فهو يقول فى مرثيته تلك :

مَحَلٌّ على القَاطُولِ أَخلَقَ دائِرُهْ ... وعادت صروفُ الدَّهرِ جَيشاً تُغاوِرُهْ
كأَنَّ الصَّبَا تُوفى نُذُوراً إذا انْبَرت ... تُراوِحُهُ أَذيالُها وتُباكِرُهْ
وَرُبَّ زمانٍ ناعِمٍ ـ ثَمَّ ـ عَهدُهُ ... تَرِقُّ حواشِيهِ ويُونَقُ ناضِرُهْ
تَغَيَّرَ حُسْنُ « الجَعْفَرِيِّ » وأَنْسُهُ ... وقَوَّضَ بادى الجَعْفَرِيِّ وحاضِرُهْ
تَحَمَّلَ عنه ساكِنُوهُ فُجاءَةً ... فَعَادت سَوَاءً دُورُهُ ومَقَابِرُهْ
إذا نَحنُ زُرنَاهُ أَجَدَّ لنا الأَسَى ... وقد كان قَبْلَ اليومِ يَبْهَجُ زائِرُهْ
ولم أَنْسَ وحْشَ القَصْرِ إذْ رِيعَ سِرْبُهُ ... وإذْ ذُعِرَت أَطلاؤُهُ وجَآذِرُهْ

(٥٢) انظر : الفن ومذاهبه فى الشعر العربى ٧٧ ــ ٩٠ .
(٥٣) المرجع السابق ٧٩ ، ٨٠ .
(٥٤) انظر : فى النقد الأدبى ٩٧ .